

أداة التعريف «أل» في اللغتين العربية والعبرية

سيد محمد رضي مصطفوي نيا^۱، أمير صالح معصومي^۲

الملخص

إن اللغتين العربية والعبرية تعدّان من فصيلة اللغات السامية ولهما جذور مشتركة كثيرة في المفردات والتركيبات النحوية؛ فدراسة اللغتين بشكل مقارن تعين الباحثين على استنتاج أحكام جديدة أقرب من الواقع اللغوي. ويمكن أن نرى هذا الاتجاه في الدراسات اللغوية المعاصرة خصوصاً بين المستشرقين الذين سبقوا المسلمين في هذا الإطار. وقد تظهر قيمة هذا النوع من الدراسات في البحث عن المسائل الخلافية في النحو العربي، فمن هذه المسائل اختلافهم في أداة التعريف «ال» وتعيين الأصلي منها والزائد؛ فذهب بعضهم إلى أن حرف اللام هي الحرف الأصلي والهمزة أو الألف زائد، ومنهم من ذهب إلى خلافه، ومنهم من ذهب إلى أنّ الحرفين أصليان. ولعلّ منشأ الخلاف هو كتابة حرف اللام وعدم النطق بها في مثل: «الشمس»، وفي جانب آخر كتابة الهمزة وعدم النطق بها عند الوصل في نحو: «والقمر»، فهذا الأمر يوهم زيادة حرف المحذوف وأصالة الأخرى. فنحاول في هذا المقال أن نعالج الموضوع من جهة جديدة وأنّ نتعرض للمسألة من منظور اللسانيات وفقه اللغة المقارن، فندرس حرف تعريف في العربية بالنظر إلى معادها العبري «לָ/לַ» (/hal/)، حتى ننتهي إلى إثبات الواقع اللغوي متجنبين الافتراضات النحوية البحتة.

المفردات الرئيسية: العربية، العبرية، «ال»، لام التعريف، «لָ/لַ».

۱. أستاذ مساعد بفرع اللغة العربية وآدابها - جامعة قم؛

۲. ماجستير في اللغة العربية وآدابها - جامعة قم.

تاريخ استلام البحث: ۸۹/۷/۲۱ تاريخ قبول البحث: ۹۰/۶/۲۳

۱- المقدمة

إن العربية والعبرية فرعان من فصيلة اللغات السامية التي انطوت تحتها لغات كثيرة من الآرامية والسريانية والحيشية وغيرها. وزُعم قديماً أن هذه اللغات بكثرتها، لها جذور مشتركة وأصول متشابهة، حتى كأنها غصونٌ لشجرة واحدة، فالعلاقات اللغوية بينها مما لا ينكرها الباحثون والمحققون من المتقدمين والمتأخرين. فهذا ابن حزم الأندلسي يتكلم عن اللغات العبرية والعربية والسريانية ويثبت لها أصلاً واحداً ويقول:

«إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية... لغة واحدة، تبدلت بتبدل مساكن أهلها... وهكذا في كثير من البلاد فإنه مجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تبدل لغتها تبديلاً لا يخفى على من تأمله... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل» (ابن حزم، ۱/۳۴).

ومن المؤسف أن هذه الصلة بين اللغات قد وقعت موقع الغفلة في الدراسات النحوية واللغوية بكثير، ولم يلتفت إليها القدماء ولم يهتموا بها كما هو حقها، وإن كان بعضهم أشار إلى لزوم هذه الدراسات كابن حزم. فرمى نراهم يتنازعون في مسألة نحوية ويطنبون الحديث فيها ويذهبون إلى مذاهب شتى والحال أن تلك المسألة لا تمت إلى اللغة العربية بصلة.

فلفظة «اللهم» على سبيل المثال، قد قيل تارة إن أصلها «يا الله»، فحذفت أداة النداء وعوّضت عنها الميم في آخر الكلمة ولذلك لا يجوز الجمع بينهما بأن يقال: «يا اللهم»، لأنه يؤدي إلى الجمع بين العوض والمعوّض. وقد قيل أخرى إنها مركبة من لفظ الجلالة «الله» و«أم» الأمر المخاطب من: «أم فلان أمراً - أمّا: أرادته وقصده»، فكان التقدير: «يا الله أمنا بالخير»، ثم خففت فأصبحت «اللهم». (ينظر: ابن الأنباري، ۱/۳۴۱؛ ابن منظور،

العرب ۱۳/۴۷۰)

وأما الإيمولوجيا والدراسات اللسانية الحديثة فتظهر لنا أن كلمة «اللهم» ليست كلمة عربية بل إن لها أصلاً عبرياً هو لفظة «Elohim = אֱלֹהִים»، فإن هذا الأصل للكلمة، كما زعمه المرجليوث، دخل في اللغة العربية لكثرة مخالطة الأعراب بالقبائل العبرانية.

(ينظر: مشكور، ۳۲/۱) ثم تغير تدريجاً حتى صار «اللهم».

وَمَا يُؤَيِّدُ هَذِهِ النَّظْرِيَّةَ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ أَيَّ اسْتِعْمَالٍ لِلْفِظَةِ «اللَّهُمَّ» فِي الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ وَالْمُحَصَّرَاتِ مَوَاضِعَ اسْتِخْدَامِهَا فِي الْمَكَاتِبَاتِ وَالرِّسَالَاتِ فِي مِثْلِ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا وَرَدَتْ فِي الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيِّ. نَعَمْ، لَا يُمْكِنُ الْجُزْمُ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالنَّظَرِ إِلَى اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ الْأُخْرَى غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ.

والتحليل الصرفي لكلمة «אֱלֹהִים» يكشف عن أن حرف «im = ם» في العبرية إنما هي علامة الجمع المذكور كـ «-ين» في العربية، فإذاً «אֱלֹהִים» جمع تجليلي للفظة «אֱלֹה = eloh» (حسيم، ١٦)، وهو الإله بالعربية. وبذلك يظهر ضعف ما يقال حول الميم المشددة في «اللهم» من أنها عرّضت عن يا النداء أو فعل أمر بمعنى «اقصد»، ويبدو أن هذه المناقشة باطلة لا طائل تحتها.

ونظير هذه المسألة ما نعقد لأجله هذا المقال وهو اختلاف النحاة حول أداة التعريف، وهي الألف واللام، في النحو العربي، فإنهم كانوا يتنازعون قديماً في تعيين الأصلي والزائد منهما، فذهب بعضهم إلى أن هذه اللفظة تتركب من كلا الحرفين «الألف واللام»، وذهب بعض آخر إلى أن «اللام» هي الحرف الأصلي للكلمة والهمزة زائدة، وقال ثالث بالعكس. ثم الفريق الأول اختلفوا في أن الهمزة هل هي همزة وصل أو همزة قطع. فالأقوال أربعة كما سيأتي.

وقد استدلل كل منهم على مذهبه بمبررات شتى، وضعف أدلة الآخر، وبذل جهده في إثبات موقفه النحوي تجاه هذا الخلاف، ولكن بمقارنة هذه الأداة بمثلتها في اللغة العبرية وهي «אֱלֹה = hal»، نتحصل على صورة دقيقة من تركيبها ما لم تكن حاصلة قبلها، ونتمكن من نقد آراء النحويين من ناحية جديدة واتخاذ قول صحيح في المسألة نتيجة هذه الصورة الجديدة من الألف واللام.

وهذا النزاع وإن كان قليلاً الجدوى، لكنه يمثل لنا كيفية الدراسات اللسانية وأثرها في النحو العربي القديم، فلا ريب أن نظير هذه الدراسات يفيد النحو ويجري به أشواطاً نحو التقدم والازدهار. فتحاول في هذا المضمار جاهدين، أن نخطو في نبذ هذا الخلاف خطوات منتجة إيجابية، معتقدين بأن باب الدراسة لا يزال مفتوحاً أمام الباحثين.

وختاماً نذكر ما تحدّث به الدكتور رمضان عبدالنواب عن أهمية الدراسات السامية العربية في هذا المجال. قال.:

«لا شكّ أن هناك فوائد كثيرة تعود على الدرس اللغوي من معرفة الدارس باللغات السامية، فإنّه... تؤدّي مقارنة هذه اللغات باللغة العربية إلى استنتاج أحكام لغوية، لم نكن نصل إليها لو اقتصرنا على العربية فحسب. ونفسر بهذا الأمر سرّ تقدم المستشرقين في دراستهم للغة العربية ووصوهم فيها إلى أحكام لم يسبقوا إليها، لأنهم لا يدرسون العربية في داخل العربية وحدها، بل يدرسونها في إطار اللغات السامية» (عبدالنواب، ٤٤).

فإنّ عملنا في مقالنا هذا يقوم على التحدّث عن أداة التعريف في اللغة العربية أولاً، وإلقاء الضوء على هذه الأداة في اللغة العبرية ثانياً، والمقارنة بين الأداةين بذكر وجوه المشابهة بينهما ثالثاً. وأخيراً نثبت الرأي المختار في المسألة على أساس اللسانيات.

٢- أداة التعريف في اللغة العربية

إنّ المعارف، على ما جاء ذكرها في كتب النحو، سبعة على اختلاف في ترتيبها من حيث الأعرافية، وهي: المضمرة والعلم والإشارة والموصول، والمعرف بالألف واللام، والمضاف إلى واحدٍ منها، والمنادى. والذي يهتمنا في هذا المجال هو التكلم عن المعرف بالألف واللام كـ «الرجل» و«الابن».

وقد اختلف النحويون في التعبير عن الألف واللام كأداةٍ للتعريف، فقد عبّروا عنهما بـ «أل التعريف» تارةً، وبـ «لام المعرفة» أخرى. وهذا الاختلاف يعرب عن وجود الفوضى بينهم حول ما تتركب منه هذه الأداة، فمن عبّر عنها بـ «أل» ذهب إلى أنّها تتكوّن من كلا الحرفين، الألف واللام، ومن عبّر عنها بـ «لام المعرفة» ذهب إلى أنّها تتكوّن من اللام فقط. وفيها قولان آخران سيأتي ذكرهما.

فلنبحث في هذا الإطار في ثلاثة فصول: ١- ذكر الأقوال الواردة من النحويين حول هذه الأداة. ٢- الرأي المختار في المسألة من منظر النحاة. ٣- ملامح حرف التعريف

في اللغة العربية.

٢-١. ذكر الأقوال الواردة في تعيين الأصلي والزائد من أداة التعريف إنهم قد اتفقوا على أن كلمة «الرجل» مثلاً صارت معرفةً بدخول الألف واللام عليها، ولكنهم اختلفوا في تعيين الزائد والأصلي منهما على أربعة أقوال:

١- أن حرف التعريف هي «أل» بمجموعها، وأن همزة أصلية وهي للقطع، كهزمة «أم» و«أن» و«أو». وعليه الخليل وابن كيسان وصححه ابن مالك. (ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ٣٠٦/١).

يلزم هذا القول أن تكتب همزة كهزمة القطع، وأن يتلفظ بها عند الوصل بما في نحو: «من الرجل = men ar'rajol»، لأنها أصلية للقطع، ولكنها حذفت في النطق لا في الكتابة فيقال: «من الرجل = menar'rajol»، فقد قيل في توجيهه إنها حذفت لكثرة الاستعمال المقتضية للتخفيف. قال الرضي: «وإنما حذف عنده [أي الخليل] همزة القطع في الدرج لكثرة الاستعمال» (الأسترآبادي، ٣٢٣/٣).

وقد أشار سيبويه إلى مذهب الخليل قائلاً: «وزعم الخليل أن الألف واللام اللتين يعرفون بهما حرفاً واحداً كـ "قد"، وأن ليست واحدةً منهما منفصلة من الأخرى كانفصال ألف الاستفهام في قوله "أ أريد" ولكن الألف كألف "أيم" في "أيم الله"، وهي موصولة كما أن ألف "أيم" موصولة... والدليل على أن ألف "أيم" ألف وصل قولهم "أيم الله" ثم يقولون "ليم الله"» (سيبويه، ٣٢٤/٣).

وينبغي على هذا القول أن نعبر عن أداة التعريف بـ «أل التعريف» كما أشار إليه السيوطي في همع الهوامع نقلاً عن ابن جني أنه قال: «وكان الخليل يسميها "أل" ولم يكن يسميها "الألف واللام" كما لا يقال في "قد" القاف والبدال» (السيوطي، همع الهوامع، ٣٠٦/١).

ويؤيده ما عثرنا عليه في المعجم اللغوي المنسوب إلى الخليل المسمى بالعين من أنه قد عبر عن حرف التعريف بـ «أل». قال: «هُنَيْدَةُ: مائةٌ من الإبل معرفة، لا تنصرف ولا يدخلها أل» (الفراهيدي، ٢٦/٤). وكذلك قال في موضع آخر: «هاوية من أسماء جهنم معرفة بغير أل» (المصدر نفسه، ١٠٥/٤).

ولكنه قد خولف بما ورد من أنه قد عبر عنها بـ «لام المعرفة» وهذا تعبير من ذهب

إلى أن حرف التعريف هي اللام وحدها وسبأتي. قال: «والأخفقوق قدر ما يخنفي فيه الرّجل أو الدّابة ومن قال اللّخفقوق فهو غلط من قبل لام المعرفة» (المصدر نفسه، ١٣١/٤).
فلا يمكن الجمع بين هذين التعبيرين المتعارضين بحال، فلولا تنصيص النحاة على رأي الخليل وأنه ذهب إلى أن حرف التعريف هي «أل» بمجموعها كـ «قد»، لوقعنا في صعوبة من ذلك.

٢- أن حرف التعريف هي «أل» بمجموعها أيضاً إلا أن الهمزة زائدة ومجوبة للوصل كهمزة «ابن» و«اسم». وقد نسبة ابن مالك إلى سيويه. (ابن مالك، ٢٤٦/١)
وقد أورد عليه أنه كيف يمكن الجمع بين أصلية الهمزة وزيادتها؟ فقد قيل في الجواب: إن الهمزة زيدت على اللام عند الوضع، لا بعده حتى يشكل عليه. قال الأشموني: «و[الهمزة] عند الثاني [أي: سيويه] زائدة معتدّ بها في الوضع». ثم ذكر الصبان في شرح هذه العبارة: «ومعنى الإعتداد بها وضعاً أما جزء أداة التعريف وإن كانت زائدة في أدواته، فهي كهمزة "اضرب" واللام الأولى في "لعل"» (الصبان، ٢٧٤/١).

وعليه، فحرف التعريف هي مجموع الحرفين، الألف واللام، الأولى منهما زائدة والثانية غير زائدة، ولكن الزيادة على هذا التفسير لا تقابل الأصالة نظير ما قيل في «استخرج» من أن «خ ر ج» حروف أصلية للكلمة والبواقي زوائد. فالفارق بينهما هو أن حروف الزيادة في «استخرج» زيدت على «خرج» بعد وضعه، وأمّا الهمزة في «أل» زيدت عليها عند الوضع، فتأمل.

هذا، والذي عليه المشهور هو نسبة القول الثالث إلى سيويه وهو:

٣- أن حرف التعريف هي اللام وحدها والهمزة للوصل. قال السيوطي: «وعليه سيويه ونقله أبوحيان عن جميع النحويين إلا ابن كيسان وعزاه صاحب البسيط إلى الخفقيين» (السيوطي، همع الهوامع، ٣٠٧/١).

ولا تتوجه عليه مشكلة الجمع بين أصالة الهمزة وحذفها عند الوصل أو مشكلة الجمع بين أصالة الهمزة وزيادتها كما لا يخفى.

وينبغي على هذا المذهب أن يعبر عن أداة التعريف بـ «لام التعريف»، كما قال ابن منظور: «ومن اللامات لام التعريف التي تصحبها الألف» (ابن منظور، ٥٥٧/٢)، أو

بـ «لام المعرفة» كما استعمله سيبويه في أربعة مواضع من كتابه، منها ما قال في باب الإدغام: «ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز فيها معهنّ إلا الإدغام لكثرة لام المعرفة في الكلام» (سيبويه، ٤/٤٥٧).

ولكنّه قد عثرنا على أكثر من سبعين موضعاً من كتابه عبّر فيه عن حرف التعريف بـ «الألف واللام»، منها ما قاله: «كما لحقت الاسم الألف واللام للمعرفة» (المصدر نفسه، ١/١٥١). وقال أيضاً: «وأما الألف واللام فنحو الرجل والفرس والبعير وما أشبه ذلك» (المصدر نفسه، ٢/٥٠). فما سبق إليك من التعارض بين مذهب الخليل وتعايره في العين، يتوجّه إلى مذهب سيبويه وتعايره أيضاً، فينبغي حينئذ حمل هذا التعارض على التسامح في التعبير.

بقيت هناك مسألة وهي أنّه قد نُسب إلي سيبويه قولان، أحدهما ما نُسب إليه ابن مالك من أنّ «ال» بمجموعها حرف التعريف، والآخر ما نسب إليه معظم النحاة من أنّ اللام وحدها هي حرف التعريف، فإذا ما هو الأصح في النسبة إليه من هذين القولين؟ والجواب: أنّ اختلاف التعبير يوجب انتساب هذين القولين إليه، فمن نسب إليه القول الثاني نظر إلى أنّه عبّر عنها بـ «ال»، ومن نسب إليه القول الثالث نظر إلى أنّه عبّر عنها بـ «لام المعرفة». ومن هنا ادّعى ابن مالك أنّه لا خلاف بين سيبويه والخليل في أنّ المعرف هو «ال» كلاهما، وإنّما الخلاف بينهما في الهمزة منه وأنّها أزائدة هي أم أصلية. قال:

«قد عبّر سيبويه عن أداة التعريف بـ «أل» كما فعل الخليل، فإنه قال في باب عدة ما يكون عليه الكلم: «... و"ال" تعرف الاسم كقولك: القوم والرجل» [سيبويه، ٤/٢٢٦] معبراً عنهما بـ «ال» وجعلها من الحروف التي الجائية على حرفين كـ «أم» وأخواتها. وقال في موضع آخر: «وإنما هي حرف بمثلة قولك قد» [المصدر نفسه، ٤/١٤٧]، ثم قال: «ألا ترى أنّ الرجل يقول إذا نسي فتذكر، ولم يرد أن يقطع كلامه ألي، كما يقول: "قدي" ثم يقول: "كأل وكأل"» [المصدر نفسه، ٤/١٤٧]، إلا أنّ في الطبعة «كان وكان» بدلاً عن «كأل وكأل». وهذا نصّه وهو موافق لما روي عن الخليل، فلولا أن

نسبها [أي: الهمزة] إلى الزيادة في موضع آخر [وهو باب ما يتقدم أول الحروف وهي زائدة ٤/١٤٤]، لحكمتُ بموافقتِه الخليلَ مطلقاً، إلا أنّ الخليل يحكم بأصالة الهمزة...» (ابن مالك، ١/٢٤٦).

فقد أحسن، وأجاد فيما أفاد، ولكنك قد وقفت على اختلاف تعابيرهم عن أداة التعريف، فتارةً عبّروا عنها بـ «أل» وأخرى بـ «لام التعريف» وثالثة بـ «الألف واللام»، مع أنّه خلاف ما ذهبوا إليه واختاروه، فلا يمكن التعويل على تعبيراتهم في تعيين مذهبهم المختار، وإنّما يعتبر في ذلك تنصيصهم على زيادة الهمزة أو أصلتها، وفي المقام لا يوجد أيّ نصّ من سيبويه يدلّ على مذهبه.

٤- أنّ الهمزة هي وحدها حرف التعريف، وهذا قول المبرّد فيما نسب إليه. قال الرضي: «وذكر المبرّد في كتابه الشافي أنّ حرف التعريف الهمزة المفتوحة وحدها، وإنّما ضمّ إليها اللام لئلا يشتهب التعريف بالاستفهام» (الأسترآبادي، ٣/٣٢٣. وينظر: الصبان، ١/٢٧٥).

ولم نعتز على كتاب الشافي حتى نقف على مذهب المبرّد، ولكنّه في كتابه الآخر المقتضب قد عبّر عن حرف التعريف بـ «لام التعريف» و«لام المعرفة». قال في المقتضب: «فأمّا الألف التي تلحق مع اللام للتعريف فمفتوحة نحو الرجل والغلام لأنّها ليست باسم ولا فعل، وإنّما هي بمترلة قد وإنّما ألحقت لام التعريف لسكون اللام فخولف بمركبتها لذلك» (المبرّد، ٢/٩٠)، وقال في موضع آخر: «وإنّما كان ذلك لازماً في لام المعرفة لعلتين إحداهما كثرة لام المعرفة» (المصدر نفسه، ١/٢١٣). وفيه ما تقدّم من التعارض بين المذهب والتعبير.

٢-٢. الرأي المختار في المسألة من منظر النحاة

إنّ للنحاة إتجاهين رئيسين أمام هذه الأقوال الأربعة، فمنهم من مال إلى القول الأول وهو مذهب الخليل، ومنهم من رجّح القول الثالث وهو مذهب سيبويه على ما نسب إليه المشهور. أمّا القول الثاني فيلحق بالقول الأول فلا يتعرض إليه في الكتب النحوية، مضافاً إلى أنّه من مدعيات ابن مالك. وأمّا القول الرابع فيظهر حاله بعد ملاحظة الأدلة الآتية،

فإثبات القول الأول يمهّد الطريق لإثباته، وإثبات القول الثالث، ينجّر إلى إنكاره، وهذا ظاهر لمن تأمل.

فمن أصحاب الاتجاه الأول ابن مالك الأندلسي ومن أصحاب الثاني الزجاجي، فيحسن بنا أن نأتي في هذا المجال بأدلة هذين الإمامين ليّتضح كيفية احتجاجهم النحوي واستدلّاهم على رأيهم المختار. فأما ابن مالك فقد رجّح قول الخليل بأدلة وقال:

«الصحيح عندي قول الخليل لسلامته من وجوه كثيرة مخالفة للأصل وموجبة لعدم النظائر: أحدها: تصدير الزيادة فيما لا أهلية فيه للزيادة وهو الحرف. الثاني: وضع كلمة مستحقة للتصدير على حرف واحد ساكن، ولا نظير لذلك. الثالث: افتتاح حرف بهمزة وصل ولا نظير لذلك أيضاً. الرابع: لزوم فتح همزة وصل بلا سبب، ولا نظير لذلك أيضاً...» (ابن مالك، ٢٤٦/١).

وقد ارتضاه السيوطي في *همع الهوامع* مشيراً إلى هذه الوجوه المذكورة (السيوطي، همع الهوامع، ٣٠٧/١). وأما الزجاجي، فقد مال إلى قول سيبويه، وضعّف مذهب الخليل، وقال:

«والقول ما ذهب إليه العلماء ومذهب الخليل فيما ذكره ضعيف. والدليل على صحة قول الجماعة وفساد قول الخليل هو [١] أن اللام قد وُجِدَتْ في غير هذا الموضع وحدها تدلّ على المعاني نحو لام الملك، ولام القسم، ولام الاستحقاق، ولام الأمر... ولم توجد ألف الوصل في شيء من كلام العرب تدلّ على معنى. و[الثاني: أنه] لا وُجِدَتْ ألف الوصل في شيء من كلام العرب تكون من أصل الكلمة في اسم ولا فعل ولا حرف فيكون هذا ملحقاً به، وكيف تكون ألف الوصل من أصل الكلمة، وقد سميت وصلاً؟» (الزجاجي، ٤١).

وبعد ملاحظة هذين الاستدلّالين نقف على أنّ كليهما يُبتنى على جهات سلبية غير إيجابية كما لا يخفى؛ فكلّ منهما يردّ الآخر بانتسابه إلى مخالفة الأصول النحوية. وهذا النحو من الاستدلّال لا يكاد يصحّ، لأنّ كثيراً من الأصول النحوية يعدّ من الأمور الاعتبارية، فربّما تمسكنا بأصل من الأصول وقد خالفنا أصلاً آخر، على أنّنا قد قدّمنا في

صدر هذا المقال أنّ هذه الأدلة إنّما تنظر إلى المسائل الخلافية في إطار النحو العربي فقط، ولا تناقشها في دائرة لغوية أوسع.

٣-٢. ملامح حرف التعريف في اللغة العربية

من ملامح أداة التعريف في اللغة العربية الفصحى إدغام حرف اللام من «ال» في الحروف الشمسية وهي: التاء والتاء والذال والذال والراء والراء والسين والسين والصاد والصاد والطاء والطاء والنون. قال سيوييه:

«ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشرة حرفاً لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام وكثرة موافقتها لهذه الحروف من طرف اللسان وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان وحرفان خالطان حرف اللسان... والأحد عشر حرفاً النون والراء والذال والتاء والصاد والطاء والزاي والسين والطاء والتاء والذال والذنان خالطاها الصاد والسين؛ لأن الصاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام والسين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء» (سيوييه، ٤/٤٥٧).

ومنها إبدال لامها ميماً في لغة بعضهم. قال السيوطي: «وقد تخلفها أم في لغة عزيزت لطبيء وهمير. قال ابن مالك لما كانت اللام تدغم في أربعة عشر حرفاً فيصير المعرف بما كأنه من المضاعف العين الذي فاؤه همزة جعل أهل اليمن ومن داناهاهم بدلها ميماً لأن الميم لا تدغم إلا في ميم» (السيوطي، همع الهوامع، ١/٣٠٨).

وقد استشهد لذلك بما ورد عن النبي (ص) بلغتهم، فقد روي أنّه خاطب بعضهم وقال: «ليس من أمير امصيام في امسفر» (أحمد بن حنبل، ٥/٤٣٤). وكذلك قد استشهد بقول الشاعر:

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِبِنِي
يَرْمِي وَرَائِي بِأَمْسَهُمْ وَأَمْسَلِمَةً

يريد: بالسهم والسلمة. (ينظر: الزمخشري، الفصل، ٤٤٩؛ السيوطي، همع الهوامع، ١/٣٠٨؛ ابن منظور، ٢٨٩/١٢) وهذا ما يسمى بـ «طمطمانية همير». قال الباحث مريخ: «وهذا

الأسلوب لا يزال مستخدماً إلى الآن في بعض اللهجات اليمنية» (مريخ، ٤٤).
ومنها إبدال الألف منها هاءً، وهذا في غاية الشذوذ، فقد نقل الزمخشري مثلاً من هذا
الإبدال، فأنشد:

عرضنا فقلنا هَسَلامَ عليكم فأنكرها ضَيْقُ المَجَمِّ غِيورُ

(الزمخشري، أساس البلاغة، ١/١٠١). ولم نعثر على البيت إلا في أساس البلاغة، وسيأتي أن
هذا الاستعمال لا يتعلق باللغة العربية.

٣. حرف التعريف في اللغة العبرية

إن الصورة الأصلية لأداة التعريف في اللغة العبرية هي « $\text{hal} = \text{ל}$ »، مركبة من « ה » =
«hey» التي تساوي حرف الهاء، و« $\text{lamed} = \text{ל}$ » التي تساوي حرف اللام في العبرية.
(ربحي، ١٠٦؛ 70 Stuart, Wilson, 112; Meyrowitz, 12; kautzsch, 112; Stuart, 70)
وتدخل هذه الحرف على أول الأسماء وتجعلها معرفةً كنتاجها في اللغة العربية
والإنجليزية وغيرهما. وحرف « ל » منها تدغم في الحرف بعدها دائماً ولا يتلفظ بها أبداً،
ولكن تظهر أثرها كنقطة في وسط الحرف المدغمة فيها. (Stuart, 70; kautzsch, 112)
وهذه النقطة مساوقة لعلامة التشديد في العربية. وهذا الإدغام يشبه إدغام حرف اللام من
«ال» في الحروف الشمسية.

فكلمة « $\text{shamayim} = \text{שָׁמַיִם}$ » مثلاً بمعنى «سما» إذا دخلت عليها حرف « ה »
صارت « $\text{ha'shamayim} = \text{שָׁמַיִם הַ}$ »، بمعنى «السما»، فشددت حرف « $\text{ש} = \text{shin}$ »
منها بجعل نقطة في وسطها فصارت « שָׁ ». وكلمة « $\text{water} = \text{מַיִם}$ » بمعنى «مياه» صارت
« $\text{ha'mayim} = \text{מַיִם הַ}$ » بمعنى «المياه».

وتستثنى من قاعدة الإدغام المذكورة، الحروف الخلقية التي تسمى في الإنجليزية بـ
«guttural letters» وهي: « $\text{aleph} = \text{א}$ » و« $\text{hey} = \text{ה}$ » و« $\text{chet} = \text{ח}$ » و« ayin »
التي تساوي الهمزة والهاء والحاء والعين في العربية. وتلحق بها حرف « ר »
«resh»، وهي الراء في العربية، في عدم صيرورتها مشددةً بعد دخول أداة التعريف عليها.

فإذا دخلت أداة التعريف «הַ» على كلمة ابتدأت بإحدى هذه الحروف، لم تشدد الحرف بعده وتغيرت صوتها تغييراً يسيراً (ينظر: رجحي، ١٠٦؛ 28، Deutsch, Meyrowitz, 21) كما وردت في الأمثلة التالية:

الف: كلمة «אֶרֶץ = eretz» بمعنى «أرض» ← «הָאָרֶץ = ha'aretz» = الأرض.
ب: كلمة «הָרִים = harym» بمعنى «جبال» ← «הַהָרִים = heharim» = الجبال.

ج: كلمة «הַשְּׁחָה = hoshekh» بمعنى «ظلمة» ← «הַשְּׁחָה = ha'hoshekh» = الظلمة.

د: كلمة «אֹפֶן = oph» بمعنى «طير أو دجاج» ← «הָאֹפֶן = ha'oph» = «الطير أو الدجاج».

ه: كلمة «רַקִּי'א = raky'a» بمعنى «سما» ← «הַרַקִּי'א = haraky'a» = «السما».

هذا، وقد عرضت على حرف التعريف «הַ» تغييرات صوتية يسيرة حين دخولها على الكلمات المختلفة، كما يُشاهد في المثال الثاني. (لمزيد من التفصيل ينظر: Wilson, p27-28)

٤. المقارنة بين أداة التعريف في العربية والعبرية

قد سبق أن المعرف في اللغة العبرية هو «הַ»، وزعم أن هذه الصورة قد جاءت من الصورة العربية لأداة التعريف وهي «ال» (Kautsch, 112). تؤيده كثرة ما ثبت من إبدال الهمزة هاءً في لهجات العربية، منه ما نقله السيوطي في المزهرة نقلاً عن كتاب الإبدال ليعقوب بن السكيت: «أيا وهيا» و«إياك وهياك» و«اتمأل السنام واتمهل» إذا انتصب، و«أرحت دابتي وهرحتها» و«أبرت له وهبرت له» و«أرقت الماء وهرقتسه» (السيوطي، المزهرة، ٣٥٧/١).

فإذا أبدلنا همزة «ال» هاءً، حصلت لنا «هل» وهي صورة أداة التعريف العبرية «הַ» بعينها. يكفيك شاهداً عليه ما ذكره الدكتور قيسي في كتابه *فقه اللهجات العربيات حول الهمزة والهاء*:

١- «ها» استعملت في الثمودية والكنعانية والصفائية وأخيراً العبرية؛ وهي أداة تعريف. واستعملت بالعدنانية أيضاً بحدود مثل: «ذا= هذا»، «أولئك = هؤلاء»، و«ها نحن». ونرجح أنها إبدال ألف التنبيه الأوجاريتية (أ = هـ) وكلاهما للتنبيه (قيسي، ١٥٨).

٢- «الهمزة: هي ألف التنبيه الأوجاريتية [وهي العربية الكنعانية / العمورية]... [مثل]: «أنحن» بمعنى «نحن» في ابتداء الكلام للتنبيه» (المصدر نفسه، ١٥٠). والأوجاريتية هي الكنعانية الشمالية، كانت تتكلم بها في «أوجاريت» وهي مدينة كانت تقع على بعد ١٢ كيلو متراً في شمال اللاذقية، على الساحل السوري. (ينظر: عبد التواب، ٢٧)

٣- «ال»: أداة تعريف استعملها الكنعانية والعدنانية. ومن الجدير بالذكر أن المدرسة البصرية تعتبر أن الألف للتنبيه واللام للتعريف» (المصدر نفسه، ١٥٨).

ومن اللطيف ما نقله الزمخشري في أساس البلاغة من هذا الإبدال، فأنشد:

عرضنا فقلنا هسّلام عليكم فأنكرها ضيقُ المَجَمِّ غيورُ

(الزمخشري، ١٠١/١).

وعليه فيمكننا أن ندعي أن «ال» و«ل» شيء واحد، إلا أنهما اختلفتا في شيئين:
الف: أن الصورة العبرية أكثر إدغاماً من العربية، حيث تدغم حرف «ل» من «ل» في كل الحروف الهجائية إلا الخمسة، رغم أن حرف اللام من «أل» تدغم في الحروف الشمسية وهي ثلاثة عشرة حرفاً.

الثاني: أن حرف «ل» لا تحذف في العبرية عند اتصال الكلمتين رغم أن الهمزة من «ال» حذفت عند الوصل دائماً، ففي نحو: «ve-ha'shamayim = וְהַשָּׁמַיִם»، لا تحذف حرف الهاء، ولكنها في مرادفها في العربية أعني «والسّماء = vas'sama» تحذف الهمزة.

وهذه الميزة إنما تأتي من أن أواخر الكلمات في العربية تختم بالحركات الإعرابية أو البنائية، فيقال: «بابُ المدرسة» بدلاً عن «بابُ المدرسة»، ويقال: «من البيت» بدلاً عن: «من ألبيت»، فإذا كانت الكلمة تختم بالسكون، حرّكت بحركة عارضة عليها فيقال:

«دخَلتَ المدرسة» عوضاً عن: «دخَلتُ المدرسة»، وكذلك يقال: «زَيْدٌ العالم = zeydonel alem»، بدلاً من: «زَيْدٌ ألعالم». وهذه الميزة لا توجد في العبرية، حيث إن الكلمات فيها تختتم بالسكون. فنذكر الفقرة الأولى من سفر التكوين مثلاً لهذه الميزة:

בְּרֵאשִׁית	בָּרָא	אֱלֹהִים	אֶת	הַשָּׁמַיִם	וְ	אֶת	הָאָרֶץ
bereshit	bara	elohim	et	hašhamaym	ve	et	ha'aretz

(كتاب التكوين ١/١)

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نأخذ بقول الخليل حيث ذهب إلى أن حرف التعريف تتكوّن من كلا الحرفين «الألف واللام» وليست إحداهما زائدة والأخرى أصلية، كما أن أداة التعريف في العبرية تتكون من كلا الحرفين «א» و«ל». والهمزة من «ال» إنما تحذف في الوصل لما تقتضيه الخصوصية الصوتية في اللغة العربية. وبذلك نرفض الأقوال الثانية والثالثة والرابعة حول «أل»، حيث إن كلاً منها حكم بزيادة حرف وأصالة حرف آخر.

إلا أن القول الرابع الذي حكم بأصالة الهمزة وزيادة اللام بمكان من التأمل والتدقيق فإنه قد سبق وأشرنا إلى أن أداة التعريف العبرية «הל» لا تظهر حرف «ل = ل» منها أبداً، لا في النطق ولا في الكتابة، خلافاً للعربية، حيث تظهر اللام من «ال» في الكتابة ولا تحذف أبداً، مضافاً على أن اللام قد يتلفظ بها ولا تدغم في الحروف القمرية. فلولا أن اللام قد تظهر في اللغة العربية وأنها قد تبدل ميماً، وهذا يدل على ثنائية أداة التعريف، لذهبنا إلى أن الأداة هي الهمزة وحدها في العربية والهاء وحدها في العبرية. انظر إلى المثال التالي:

«הַשָּׁנָה = ha'shana» ← هَشَنًا ← أَسَنَةٌ ← السنة.

وعليه فإن الخليل والمبرد يتفقان في كون الهمزة من «ال» أصليةً ويختلفان في ماهية اللام منها، حيث إن الخليل قال بأصالتها أيضاً والمبرد ذهب إلى أنها زائدة فارقة. وقد أشكل على الخليل بأنه قد خالف بعض الأصول النحوية، فمن أهم ما أورد عليه: أنه بناءً على أن الهمزة أصلية للقطع فكيف يجوز حذفها عند الوصل، فهذا من الحذف لا نظير له في اللغة العربية. ولنا إجابتان على هذا الإشكال:

الف: أنه لا مانع من أن تكون الهمزة أصليةً وقد حذفت عند الوصل بما لوجود ميزة في اللهجة العربية وهي اتصال الكلمات بعضها ببعض، وقد مرّ توضيحه.

ب: أنه ربما تكون الحرف من أصول الكلمة وقد تحذف، نحو واو الجمع في «ليصربن»

= ليضربون + ن»، فالواو فاعل الفعل وعمدة الكلام ومع ذلك تحذف لما يقتضيه لحوق نون التأكيد، وكذلك عين الفعل من «قُلْنَ = قال + ن»، لما توجبه قواعد الإعالال، فكذاك همزة «ال» تحذف لما يقتضيه وصل الكلمات. فنمنع بذلك ما قيل من أن حذف الحرف الأصلي لا نظير له في العربية، فلا يجوز حذف الهمزة من «ال» وهي أصلية للقطع. ودعماً لمذهب الخليل نذكر ما أشار إليه الباحث مريخ في كتابه العربية القديمة ولهجاتها، حول أصلية الهمزة في أداة التعريف وقال:

«وأظن أنّ ثمة تطوراً قد حدث في أداة التعريف في اللغة العربية، إذ إن لهجات الأحقاف تعرّف بإضافة الألف في بداية الكلمة المعرفة، فمثلاً يقولون: «أجل» وتعني الجبل... وأعتقد أن استخدام الألف كأداة تعريف كانت هي المرحلة الأولى أو الطور الأول الذي استخدمته العربية ثم أضيفت الميم في فترات لاحقة فأصبحت «أم»، ومن ثم حلت اللام محل الميم. وهذا التغيير لم يكن عاماً بل حدث في بعض اللهجات التي كانت تتجه إلى الفصاحة وظلت لهجات أخرى محتفظة بالطور القديم والبعض الآخر بطور وسط بين القديم والفصيح» (مريخ، ٤٣).

وكلامه هذا جيداً إلا أنه لم يبيّن لنا سبب إضافة اللام والميم إلى الهمزة، وذهب أيضاً إلى أن الميم هي التي تبدل لأمّاً، خلافاً لما ذكر من أن اللام قد تبدل ميماً في بعض اللهجات.

و لكن هناك نقطة أودّ أن أشير إليها وهي أنه قد ظنّ أن الصورة العربية لأداة التعريف أعني «ال = אל» قد وردت في كلمات من العهد العتيق هي:

الف: «אַלְמִיגִים = almugim» (كتاب الملوك الأول ١٠/١١-١٢)، وهكذا لفظة «אַלְגִּימִים = algumim» (أخبار الأيام الثاني ١٠/٩)، بمعنى «خشب الصندل».
ب: «אַלְגִּיִּשׁ = algavish» (كتاب حزقيال النبي ١٣/١١-١٣ و ٢٢/٣٨)، بمعنى «حجارة البرد».

ج: «אַלְמוֹדָד = almodad» (كتاب التكوين ١٠/٢٦)، علم من أولاد سام اسمه «الموداد».

د: «الْأَلْهَمْزَةُ = alkum» (كتاب أمثال سليمان ٣٠/٣١) يزعم أنها بمعنى «القوم = al-qaum» (مشكور، ٣٠/١).
ولكن هذا الزعم لا يعتمد على بحث علمي وهو مجرد فرضية غير محققة، وقد أجيب عنه بإجابات يتسع المجال لذكرها. (ينظر: kautsch, 12)

٥. النتيجة

١- أنه لا فرق بين أداة التعريف في اللغة العربية واللغة العبرية، فإنهما صورتان لشيء واحد، فإذا أبدلنا الهمزة من «أل» هاءً، تحصل لنا صورة أداة التعريف في العبرية وهي «هَلْ = هَلْ»، مضافاً إلى أن الهمزة والهاء تعدان من أدوات التنبيه في اللهجات العبرية، فلا فرق بينهما من حيث دلالتيهما على التعريف.

٢- أن حرف التعريف في اللغة العربية تتركب من الألف واللام كليهما، فلا يصح نسبة الزيادة إلى أحدهما. فالصحيح من المذاهب الأربعة المذكورة هو ما ذهب إليه الخليل من أن حرف التعريف هي «أل» بمجموعها، وأن الهمزة أصلية وهي للقطع، ولكن كثرة الاستعمال واللهجة العربية تقتضيان حذف هذه الهمزة في الوصل. فنردّ بذلك ما ذهب إليه سيبويه واعتقه المشهور من أصلية اللام وزيادة الهمزة.

٣- أنه ينبغي أن نعبر عن أداة التعريف في العربية بـ «أل التعريف»، حيث أشير فيه إلى كون الهمزة واللام أصلية في تركيب هذه الأداة.

المصادر والمراجع

- الأسترآبادي، رضي الدين محمد بن الحسن. شرح كافية ابن الحاجب. تحقيق: إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- ابن الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دمشق: دار الفكر، د. ت.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي. الإحكام في أصول الأحكام. القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٤ هـ. / ١٩٨٤ م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله. شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد). تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وطارق فتحي السيد. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، د. ت.
- أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. مصر: مؤسسة قرطبة. د. ت.
- حبيب، سليمان. فرهنگ عبري - فارسي. ط ٢. قرآن: النجمن كليمان ايران، د. ت.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق. كتاب اللامات. تحقق: مازن المبارك. ط ٢. دمشق: دار الفكر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- _____، _____، الفصل في صنعة الإعراب. تحقيق: د. علي بوملحم. بيروت: مكتبة الهلال، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر. كتاب سيبويه. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الجليل، د. ت.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. الزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: فؤاد علي منصور. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- _____، _____، جمع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد الحميد هندواوي. مصر: المكتبة التوفيقية، د. ت.
- الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. بيروت: دار الفكر، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- عبدالنواب، رمضان. فصول في فقه العربية. ط ٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- الفراهيدي، خليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال، د. ت.
- قيسي، محمد مجت. ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكاديمية والكنعانية وحتى السبئية والعلمانية. ط ٢. دمشق: دار شمال للطباعة والنشر، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- كمال، رجي. دروس اللغة العبرية. ط ٣. دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.
- المردي، أبو العباس محمد بن يزيد. المنتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عظمة. بيروت: عالم الكتب، د. ت.

- مريخ، عادل محاد. *العربية القديمة ولحجاتها*. أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- مشکور، محمد جواد. *فرهنگ تطبيقي عربي با زبانهاي سامي و ايراني*. تهران: انتشارات بنياد فرهنگ ايران، ١٣٥٧ ش.
- وطفة، علي أسعد، الجمود والتجديد في العقلية العربية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠٧.
- Deutsch, Solomon. *NEW PRACTICAL HEBREW GRAMMAR*, New York, 1868.
- E. kautsch. *GESENIUS' HEBREW GRAMMAR*. Second English edition London: oxford, 1910.
- Meyrowitz, Alexander. *HEBREW GRAMMAR*, Missouri: The University of Missouri, 1877.
- Stuart, Moses. *GRAMMAR OF THE HEBREW LANGUAGE*. London: oxford, Forth edition, 1831.
- Wilson, Robert Dick. *A HEBREW GRAMMAR FOR BEGINNERS*. Germany, Leipzig, 1908.

أداة التعريف «أل» في اللغتين العربية والعبرية

سید محمد رضی مصطفوی نیا^۱، امیر صالح معصومی^۲

چکیده

دو زبان عربی و عبری از خانواده زبان‌های سامی هستند که ریشه‌های مشترک واژگانی و نحوی بسیاری با هم دارند. مطالعه تطبیقی ساختار دستوری و واژگانی هریک از این دو زبان، ما را در فهم بهتر و عمیق‌تر آن‌ها یاری می‌رساند. یکی از مسائل مورد مناقشه در نحو عربی، حرف تعریف «ال» است که از آن به «لام التعریف» تعبیر می‌کنند. نحویان درباره ساختار این حرف اتفاق نظر ندارند و در این مورد که آیا باید هر دو حرف «الف و لام» را حرف‌های اصلی تشکیل دهنده این کلمه دانست یا تنها یکی از آن دو اصلی است و دیگری زائد، اختلاف نظر دارند. نگارنده در این مقاله سعی دارد تا با بررسی تطبیقی بین حرف تعریف عربی «ال» و معادل عبری آن یعنی «*הַ*» (*hal*) به تصویر صحیحی از ساختار این حرف دست یابد و در خصوص زیادت و عدم زیادت الف و لام به نتیجه قابل اعتمادی برسد.

واژگان کلیدی: زبان عربی، زبان عبری، ال، لام تعریف، «*הַ*».

۱. استاد یار گروه زبان و ادبیات عرب - دانشگاه قم؛

۲. دانشجوی کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عرب - دانشگاه قم.